[٢٢] الأصالة

المفهوم: أن مفهوم الأصالة يتميز عن غيره من المفاهيم بأنه يقفز بشكل خاص ليشكل أهمية ذات قدر كبير في بحوث الابتكار. وهي الأهمية التي يعترف بها كل المشتغلين في هذا الميدان أمثال جيلفورد Guilford، وتورانس Torrance، وبارون Barron، وغيرهم.

ويضع كل من جيلفورد Guilford (١٩٦٢) وبارون Barron (١٩٦٣) محكين أساسيين للحكم على الفكرة الأصيلة Original Idea وهما: الجدة Novelty، والمناسبة Suitability. ويعرفا الفكرة الأصيلة بأنها الفكرة الجديدة New Idea، أي الفكرة التي لم توجد من قبل. ولكن من الصعوبة بمكان أن نأخذ بهذا التعريف كمدخل علمي لدراسة الأصالة لسببين حددهما جيلفورد:

أولاً: من الصعب من الناحية العملية التأكد من تحقق شرط الجدة لأن هذا يتطلب شرطاً مستحيلاً وهو فحص جميع الأفكار في أذهان كل الناس لنحكم بورود الأفكار الجديدة أو عدم ورودها على الذهن البشرى من قبل، وخاصة أن المتتبع لتاريخ العلم مثلاً يلاحظ أنه ليس من النادر أن نجد عالمين ينتجان نفس الفكرة الجديدة على الرغم من البعد المكاني بينهما والذي قد يبلغ آلاف الأميال. ولكن أحدهما قد يسبق الآخر بفترات قصيرة شهوراً أو أسابيع أو ربما ساعات دون أن نقول بأن الآخر لا يعتبر أصيلاً لمجرد أنه تأخر في استحداث أفكاره.

ثانياً: نجد أن هذا المعنى للجدة يتضمن كثيراً من المظاهر في مفهوم الأصالة دون تبرير، ودون أن ينطبق عليها المعنى العميق للمفهوم. فعلى أساس هذا المعنى يمكن أن نعتبر كثيراً من الهلاوس والأحلام جديدة لمجرد أنها لم تطرأ على ذهن أحد من قبل.

ولكن هذا المعنى لا يفيد من الناحية العملية لأنه لا يعطينا أساساً واضحاً للتمييز بين من هم أكثر أصالة أو أقل أصالة، لذلك نجد بارون Barron (١٩٦٣) يوضح منذ البداية عدم كفاية الأخذ بمفهوم الجدة وحده، لأن الأصالة كما يرى بارون يجب أن تعرّف من حيث الحدوث، وهذا هو أول محك للأصالة، أن تتميز بدرجة عالية من عدم الشيوع في داخل المجموعة الخاصة التي نبحثها. ونكن هناك محكاً آخر يجب أن يتوافر للحكم بالأصالة أو الجدة، وهو أن تتفق الاستجابة الأصيلة مع الواقع، أي أن تكون استجابة تكيفيه، والغرض من هذا المحك استبعاد الاستجابات غير الشائعة، التي تقف عند مستوى العشوائية أو الجهد أو التوهم.

وعلى الرغم من أن جيلفورد لا يعتبر أول من ابتكر مفهوم الأصالة، إلا أنه يعتبر أول من أعطاها مكانها في بناء العقل بناء على بحوثه وبحوث تلاميذه في التحليل العاملي. لذا يطرأ علينا السؤال التالي ما هو موقع مفهوم الأصالة في هذا البناء الذي وضعه جيلفورد؟

نجد بداية أن جيلفورد يفترض أن بناء العقل يمكن تناوله من خلال ثلاثة عوامل رئيسية، وأن مفهوم الأصالة يقع تحت العامل الثالث أو المستوى الثالث في بناء العقل، ونجد أن هناك نوعين من القدرات متضمنة في هذا العامل هما:

- القدرات الإنتاجية التقاربية Convergent productivity abilities
- القدرات الإنتاجية التباعدية Divergent productivity abilities

ويقصد بالتفكير التقاربي Convergent Thinking إلى نوع التفكير الذي ينتهي بإجابة واحدة صحيحة كما هو في التفكير الاستدلالي، أما التفكير التباعدي divergent thinking فهو التفكير الذي يمضي في اتجاهات متعددة دون أن تكون هناك إجابة واحدة صحيحة، ولكي توجد إجابة أكثر تكيفاً للموقف وأكثر ابتكاراً وعموماً فهذا هو التفكير الإبداعي بأوسع معانيه.

وبالرغم من أن راى Ray (١٩٦٨: ٢٧) يرى أن التفكير التباعدى divergent thinking هو الأصالة، إلا أننا نميل هنا إلى تبنى وجهة نظر جيلفورد من حيث أن الأصالة سمة تحتل موقعها في بناء أكثر شمولاً وهو العقل وأقل شمولاً وهو التفكير التباعدى؛ وعلى هذا فإن ما يشير إليه راى Ray بأنه أصالة هو في الحقيقة العملية الكلية للنشاط العقلي المسمى بالإبداع، والذي تحتل فيه الأصالة جزءاً من أجزائه. وسبب تبنينا لوجهة نظر جيلفورد هو أن العلم اليوم يتجه في تطوره إلى مزيد من التمييز discrimination وأن هذا التمييز هو ما يساعدنا على فهم الظواهر السلوكية.

ويشير جيلفورد إلى أن التفكير التباعدى هو التفكير الذي يظهر في المجالات التي لا تتطلب إجابة واحدة صحيحة. وقد بينت التحليلات الإحصائية التي قام بها جيلفورد وتلاميذه أن هذا العامل (التفكير التباعدى) يحتوى على أربعة عوامل فرعية من بينها عامل الأصالة ويقوم هذا العامل على أساس الافتراض بأن الشخص المبدع ذو تفكير أصيل، أي أنه لا يكرر أفكار المحيطين به. فتكون الأفكار التى يولدها جديدة بالنسبة له، وربما بالنسبة للإطار الثقافي العام. وهناك احتمال في أن يكون عامل الأصالة عاملا مزاجياً temperament أو دافعياً motive عندما يشير إلى اتجاه عام لعدم الامتثال، أو تجنب تكرار ما يفعله الآخرون.

وقد تبين لنا ما يلي:

(١) أن الأصالة هى أحد الأبعاد الرئيسية للابتكار ضمن عدد آخر من الأبعاد هى: الطلاقة Fluency والمرونة Flexibility والحساسية للمشكلاتProblems sensitivity.

(٢) لا تقف الأصالة عند كمية الأفكار المبتكرة creative ideas التى يعطيها الشخص، بل تقف عند نوعية هذه الأفكار من حيث الجدة وعدم الشيوع Uncommonness والنفور من الامتثال.

(٣) أن توافر قدر كبير من الأصالة يشير إلى توافر قدر مساوى من النفور من تكرار ما يفعله الآخرون، وهذا ما يميزها عن المرونة التى تقف عند النفور من تكرار الشخص لذاته سواء أفكاره أو أفعاله، فيفكر الشخص فى أكثر من إطار.

وبالرغم من شك جيلفورد Guilford (١٩٦٢: ١٠٩-١١٠) في أن الأصالة ما هي إلا مرونة تكيفية Adaptive Flexibility عندما تكون المادة لفظية Verbal، بينما تكون المرونة التكيفية قاصرة على المواد غير اللفظية nonverbal، فإن هذا الشك تقف إزاءه عدة اعتبارات أهمها:

(١) إنه ليس بالضرورة أن تكون مادة المرونة التكيفية مادة غير لفظية ويمكننا أن نذكر كمثال على هذا مقاييس التصلب التي تعتمد على الأثقال الحسابية، فالنجاح في هذه المقاييس اللفظية يعبر عن المرونة التكيفية أكثر من المرونة التلقائية دون أن تكون المادة المستخدمة غير لفظية، ودون أن نتحدث عن الأصالة بالمعنى الشائع.

(٢) أن الأصالة يمكن قياسها بمواد غير لفظية والأمثلة على ذلك مقاييس تورانس للتفكير الابتكاري Torrance's Figural Creativity Thinking Tests حيث كان تورانس يقيس الأصالة بمواد غير لفظية وكان يحصل على درجتين أحداهما للأصالة والأخرى للمرونة.

لذا فإن الأصالة نفور من تكرار ما يفعله الآخرون أو يفكرون فيه، وأن المرونة بأنواعها المختلفة قاصرة على النفور من تكرار الشخص لذاته: أفكاره أو أفعاله. أما الحساسية للمشكلات بما تحتويه من عناصر عقلية تقويميةevaluative mental elements قد تكون شرطاً من شروط التفكير الأصيل original thinking.

ويشير تورانس Torrance (١٩٦٦) إلى أن الأصالة هي القدرة على إنتاج أفكار جديدة فريدة أو نادرة أو غريبة، ومع ذلك فهي أفكار مقبولة ومعقولة. وتعتبر الأصالة من أبرز القدرات الابتكارية التي يتفق علماء النفس على أهميتها للنبوغ في جميع المجالات، كما أن الأصالة ليست قدرة ذهنية، ولكنها سمة مزاجية تدل على استعداد عام، لأن يكون الشخص مجنداً أو ميالاً إلى النفور من تكرار ما يفعله الآخرون، ويتفق هذا التعريف مع ما ذهب إليه جيلفورد.

وبعيداً عن المعالجة التعاملية لموضوع الأصالة والعوامل المرتبطة به، نجد كوبى Kubie (١٩٥٨) يضع تفسيراً تحليلياً لمفهوم الأصالة، خاصة عند تناوله لمنطقة ما قبل الشعور Preconsious وهى المنطقة الواقعة بين الوعي Complete awareness واللاوعي Unconsious وطبقاً لما قاله كوبي فإن الأفكار Ideas والمفاهيم Concepts تكون حرة ومنطلقة من ارتباطاتها العادية خاصة في منطقة ما قبل الشعور، ولذا فإن الأفكار تستطيع أن تنطلق وتتحرر ثم تتحدد في طرق وأساليب غير معتادة أو مألوفة وجديدة بناء على الترابطات المتداخلة Overlapping linkages أو التشابهات المتعددة multiple analogic وبالتالي فإن المفاهيم والتخيلات المكونة في صورتها الجديدة تكون أساس الأداء المبتكر creative performance لذا فإن الفرد الذي يتسم بالأصالة يستطيع أن يوظف مراحل أو طرق ما قبل الشعور بطريقة فعالة ومؤثرة.

ونجد بارون Barron (١٩٦٣) قد تكلم عن انتشار الأنا Ego diffusion التي قد تلعب دوراً كبيراً في عملية الإدراك التي تتميز بالابتكار creative perception.

وأيضاً كوستلار Koestler (١٩٦٤) قد أشار إلى ثنائية تجمع الأفكار bisociation of ideas، وهذه الفكرة قريبة إلى حد ما من مفهوم ما قبل الشعور ووظيفته التي أشار إليه كوبي Kubie (١٩٥٨).

لذا نجد أن كوبي Kubie يعرف الفرد الأصيل "بأنه الفرد الذي في مقدوره أن يستخدم وظائف ما قبل الشعور بطلاقة أكثر من الآخرين الذين قد يتساوون معه في مواهب مازالت كامنة".

أما الدور الذي تقوم به عمليات ما قبل الشعور في عملية إنتاج الأفكار الأصيلة يتوقف على حريتها في تجميع الأفكار، ومقارنتها ثم إعادة تصنيفها. ويرى كوبي أن لكل من عمليات الشعور واللاشعور تعمل بطريقة ما على تجميد عملية ما قبل الشعور، وبذلك يحول الفرد ذا الموهبة الكامنة إلى فرد غير خلاق. بينما يكون في استطاعة ما قبل الشعور أن يصير شعورياً بسهولة تحت ظروف كثيراً ما تنشأ، فإن مثل هذا التحول صعب في حالة اللاشعور، ويمكن حدوثه فقط ببذل طاقة هائلة وقد لا يحدث أبداً.

ويفرض الجمود على التفكير حينما تسود العمليات الشعورية عند أحد طرفي النقيض، بناء على حقيقة أن الوظائف الشعورية الرمزية قد تثبت بواسطة علاقاتها الواقعية الدقيقة بوحدات ذهنية وادراكية خاصة وحيث تسود العمليات اللاشعورية عند الطرف الآخر، نجد تثبيتاً أكثر صلابة، إلا أنه في هذه الحالة يكون تثبيتاً بالتزييف أو اللاواقعية، أي بتلك الصراعات غير المقبولة والأشياء والأهداف والدوافع التي صارت في غير متناول كل من التأمل الشعوري والتأثير المعدل للخبرة.

لذا يرى كوبي أن كثير من الأخطاء ارتكبت عندما افترض أن اللاشعور هو منبع دوافع الإبداع ومصدر الإلهام العظيم في حياة البشرية. ومثال ذلك التصور بأن الإنتاج الإبداعي ينبع فقط من اللاشعور، وأن العبقري المبدع لابد أن يكون مريضاً أو شاذاً.

القياس: تقوم فكرة تصميم مقياس الأصالة في الأصل كما أشار إلى ذلك هولاند وبايرد Holland and Baird (١٩٦٨) على ما وصفه كوبي Kubie (١٩٥٨) من أن منطقة ما قبل الشعور تكون فيها الأفكار والمفاهيم حرة ومنطلقة من ترابطاتها المعتادة، ومن ثم تستطيع الانطلاق والتحرر والتجديد في طرق جديدة وأصيلة. ويتكون المقياس من (٣٨) عبارة، وتكون الاستجابة على تلك العبارات بنعم أو لا. وقد قامت الدسوقي (١٩٨٧) بترجمة المقياس إلى اللغة العربية.

الصدق: تم إيجاد صدق المفهوم لمقياس الأصالة وذلك من خلال تطبيقه مع مجموعة من المقاييس النفسية (Holland and Baird, 1968)، كما تم حساب صدقه التلازمي عن طريق تطبيقه مع مقياس التعقيد لقياس الأصالة من إعداد بارون على عينة مكونة من سبعين طالباً وخمسين طالبة بالجامعة، فبلغت معاملات الارتباط بين المقياسين (٠,٦٠) لعينة الذكور، و(٠,٧٨) لعينة الإناث، وهي معاملات دالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١ (موسى والدسوقي، ١٩٨٨).

الثبات: تم حساب ثبات مقياس الأصالة في العديد من البحوث الأجنبية (Abe, *et al.*, 1965; Nichols and Holland, 1963)، كما تم حساب ثبات المقياس بطريقة إعادة الاختبار فبلغ (٠,٧٩) لعينة الذكور، و(٠,٧٢) لعينة الإناث (موسى، والدسوقي، ١٩٨٨).

مقياس الأصالة

	العبارات	نعم	لا
١-	أفضل أن أكون عضواً في مجلس الشعب عن أن أكون فيلسوفاً	( )	( )
٢-	أفضل أن أكون خبيراً ذو كفاءة عن أن أكون موسيقاراً	( )	( )
٣-	أفضل أن أكون مهندساً في مجالات البحث العلمي عن أن أكون مهندساً في مجالات الصناعة	( )	( )
٤-	البحث عن الأفكار لكتابة تقرير أو بحث خطوة في منتهى البغض بالنسبة لي	( )	( )
٥-	نادراً ما تراودني الأفكار الجديدة	( )	( )
٦-	أفضل أن أكون مديراً لعمل ما عن أن أكون أخصائياً نفسياً	( )	( )
٧-	أفضل أن أكون مهندساً عن أن أكون فناناً	( )	( )
٨-	أحياناً ما أكون ملماً بالكتب والأفكار الجديدة	( )	( )
٩-	كثيراً ما استغرق في أحلام اليقظة أثناء حل المشاكل العويصة	( )	( )
١٠-	استمتع بالاستغراق في أحلام اليقظة عند تناول المشكلات والنشاطات والمشروعات المستقبلية	( )	( )
١١-	أفضل أن أكون عالماً في مجال البحث العلمي عن أن أكون مديراً لمؤسسة علمية....	( )	( )
١٢-	أصل إلى أحسن أفكاري عن طريق الاستغراق في أحلام اليقظة عن الاعتماد على الكتب والمصادر الرئيسية أو الأشخاص الآخرين	( )	( )
١٣-	إذا كانت لدى موهبة فأود أن أكون مؤلفاً	( )	( )
١٤-	أفضل أن أكون محرراً من أن أكتب كتاباً	( )	( )
١٥-	أفضل أن أكون قائداً من أن أكون مخترعاً	( )	( )
١٦-	غالباً ما أحاول أن أكون وحيداً كي أستطيع أن أنعم النظر في الأمور من جانب إلى آخر	( )	( )
١٧-	اعتبر نفسي متعدد الأفكار	( )	( )
١٨-	أفضل أن أحيا حياة مثل حياة توماس أديسون (مخترع مصباح الكهرباء) عن حياة سيجموند فرويد (مؤسس نظرية التحليل النفسي)	( )	( )
١٩-	الاستغراق في أحلام اليقظة طريق غير ذي قيمة لحل المشكلات	( )	( )
٢٠-	أفضل أن أكون شخصية عامة مؤثرة من أن أكون فناناً مبتكراً	( )	( )
٢١-	أنا شخص غير قادر على التعبير عن نفسي	( )	( )
٢٢-	أفضل المدرسين الذين يعطون مقررات منظمة حسنة وواجبات واضحة عن المدرسين الذين يطلبون بحوث وتقارير مستقلة	( )	( )
٢٣-	ينبغي أن أتعلم الأشياء بطريقتي الخاصة عن قبول الأفكار والعلاقات المنطقية المقترحة في متون الكتب	( )	( )
٢٤-	تكون الطريقة لحل المشكلات الصعبة من خلال التخطيط السليم والتنظيم الجيد للوقت	( )	( )
٢٥-	كثيراً ما أفضل أن أصدر أحكامي من خلال انطباعاتي ومشاعري الأولى لموقف ما عن التفكير الواعي فيه	( )	( )

	العبارات	نعم	لا
٢٦-	أحب أن أكون مخترعاً	( )	( )
٢٧-	أحل المشاكل العقلية عن طريق التفكير المنطقي الواعي	( )	( )
٢٨-	أفضل أن أكون أخصائياً نفسياً تجريبياً من أن أكون أخصائياً نفسياً إكلينيكياً	( )	( )
٢٩-	إذا كانت لدى الموهبة الضرورية، فسوف استمتع بأن أكون نحاتاً	( )	( )
٣٠-	أستمتع بالمشكلات التي أستطيع الحصول على حلول دقيقة لها	( )	( )
٣١-	أفضل أن أكون كاتباً من أن أكون صاحب شركة استثمارية	( )	( )
٣٢-	أفضل أن أكون شخصاً واقعياً من أن أكون شخصاً خيالياً	( )	( )
٣٣-	يعتقد أصدقائي أنني شخص موضوعي من أن أكون شخصاً انفعالياً	( )	( )
٣٤-	أبدأ المشروعات عن طريق الاستغراق في أحلام اليقظة عن كيفما يمكن تنفيذها	( )	( )
٣٥-	يعتبرني أصدقائي شارد الذهن إلى حد ما	( )	( )
٣٦-	أكون أكثر واقعياً من أن أكون أكثر مثالياً	( )	( )
٣٧-	غالباً ما أعمل دون تفكير	( )	( )